

مؤتمر

اللاعنف والسلام

تعميق المفهوم المسيحي لللاعنف والتزامه

روما، 11-13 نيسان 2016

نداء

إلى الكنيسة الكاثوليكية لتجديد التزامها بمركزية إنجيل اللاعنف

بما أننا مسيحيون ملتزمون ببناء عالم فيه مزيد من العدل والسلام، فإننا مدعوون إلى اتخاذ موقف صريح من أجل عمل لاعنفي ناشط ومبدع، ونبذ كل أشكال العنف. بهذه القناعة، وبوحيمن سنة اليوبيل، "سنة الرحمة" التي أعلنها البابا فرنسيس، اجتمعنا، من عدة بلدان، في مؤتمر اللاعنف والسلام العادل، برعاية المجلس البابوي للعدل والسلام، وحركة "سلام المسيح"، في روما، في الفترة بين 11-13 نيسان 2016.

تمثل جماعتنا شعب الله من أفريقيا والأميركتين، وآسيا وأوروبا والشرق الأوسط وأوقيانيا، وفيها مؤمنون علمائون، ولاهوتيون وأعضاء جماعات رهبانية وكهنة وأساقفة. كثيرون منا يعيشون في جماعات تعرف العنف والظلم. وكلنا نعمل في سبيل العدل والسلام. نشكر البابا فرنسيس لرسالته إلى المؤتمر وقوله: "إن أفكاركم حول إحياء أساليب اللاعنف، وبصورة خاصة اللاعنف الفاعل، هي مساهمة إيجابية نحن بحاجة إليها".

إذا نظرنا إلى عالمنا اليوم...

إننا نعيش في زمن آلام رهيبية. آثار الرعب والخوف في النفوس مستمرة. وهي مرتبطة بظاهرة العسكرة وبالمظالم الاقتصادية وبتغير البيئة، والكثير الكثير من صور العنف الأخرى. في هذا السياق أصبح العنف أمرًا طبيعيًا ومعمولًا به بصورة عادية. فكل من يستلهم التقاليد المسيحية مدعُو إلى التأكيد على مركزية اللاعنف في رؤية ورسالة يسوع المسيح، وفي حياة وممارسات الكنيسة الكاثوليكية، وفي دعوتنا القديمة والمستمرة لتقديم الشفاء والمصالحة، للإنسان ولكوكب الأرض.

سُررنا لسماع الخبرات الكثيرة والغنيّة لأناس ملتزمين العمل من أجل السلام في أنحاء العالم، وقد سمعنا روايات العديدين منهم في أثناء المؤتمر. شاركونا خبراتهم ومفاوضاتهم الشجاعة مع أطراف مسلّحة في بلاد مثل أوغندا وكولومبيا. ومنهم العاملون لتثبيت المادة التاسعة المتعلّقة بالسلام في الدستور الياباني، ومنهم برنامج المرافقة في فلسطين، ومنهم العاملون على التنشئة على السلام في رحاب الفيليبين. كلُّ تلك الخبرات تلقي ضوءاً على طابع الإبداع في العمل اللاعنفيّ وعلى قوّته في ظروف مختلفة وفي صراعات يسودها العنف، أو يمكن أن يسودها. أكّدت أبحاث أكاديميّة جديدة أنّ فعاليّة استراتيجيّات المقاومة اللاعنفيّة هي ضعف فعاليّة المقاومة العنيفة.

حان الوقت لكنيستنا أن تكون شاهداً حيّاً وأن تبذل مزيداً من الجهود البشريّة والماليّة لتنمية روحانيّة وممارسة اللاعنف الفعّال، وفي تنشئة وتدريب جماعاتنا الكاثوليكيّة في ممارسات لاعنفيّة فعّالة. في كلّ هذا يسوع المسيح هو ملهمنا ومثالنا.

يسوع المسيح واللاعنف

في زمنه، المشبع بقواعد العنف، نادى يسوع بنظام جديد، نادى "بلاعنفٍ" متأصّل في محبة الله غير المحدودة. دعا يسوع تلاميذه إلى محبة أعدائهم (متى 5: 44)، أي إلى احترام صورة الله في كلّ إنسان، وأن لا يقوموا بمقاومة عنيفة لمن يصنع إليهم شرّاً (متى 5: 39)، وأن يكونوا صنّاع سلام وأن يغفروا ويتوبوا، وأن يكونوا كثيري الرحمة (متى 5-7). أظهر يسوع اللاعنف بمقاومته الفعّالة لتجريد الإنسان من إنسانيّته، مثلاً لما تحدّى شريعة السبت وشفى مشلول اليد (مرقس 3: 1-6)، وكذلك لما قاوم الرؤساء وطهّر الهيكل (يوحنا 2: 13-22)، ولما تحدّى بسلام وبجزم الرجال الذين شكّوا المرأة الزانية (يوحنا 8: 1-11)، وأخيراً لما أمر بطرس، عشية موته، أن يعيد سيفه إلى غمده (متى 26: 52).

اللاعنف عند يسوع لم يكن ضعفاً ولا تقاعساً عن العمل، بل كان قوّة الحبّ الفاعل. برؤيته وبعمله، أوحى وأظهر صورة الله اللاعنيف: هذه حقيقة يلقي عليها النور الصليب والقيامة. وبناء على كلّ هذا فهو يدعونا لننمّي فينا فضيلة صنع السلام بلا عنف.

ويجب أن نقول بوضوح كامل إن كلمة الله، وشهادة يسوع، يجب ألا تُستعمل أبدًا لتبرير العنف أو الظلم والحرب. ونحن نعترف أنّ شعب الله خالف مرّات كثيرة هذه الرسالة الجوهرية في الإنجيل، لما شارك في الحروب والاضطهادات والظلم والاستغلال والتمييز العنصري.

إننا نؤمن أنّه لا توجد "حرب عادلة". استُعملت مدة طويلة نظرية "الحرب العادلة" لدعم الحرب أكثر منها لمنعها أو للحدّ منه. القول إنّ الحرب العادلة أمر ممكن هو نقض للأمر الأخلاقيّ القائل بتطوير الوسائل والأساليب والكفاءات لتبديل الصراع بطريقة لاعنفية.

نحن بحاجة إلى إطار ينسجم مع اللاعنف كما هو في الإنجيل. هناك طريق مختلف عن العنف يظهر بوضوح حديثًا في التعليم الاجتماعيّ الكاثوليكيّ. كتب البابا يوحنا 23 أنّ الحرب ليست الطريق المناسبة لاسترداد الحقوق. والبابا بولس السادس ربط بين السلام والتنمية، وقال في هيئة الأمم: "لا حرب بعد اليوم". وقال البابا يوحنا بولس الثاني: الحرب هو من مآسي الماضي، وهو تاريخٌ مضى. وقال البابا بندكتس السادس عشر: إنّ محبة الأعداء هي قلب الثورة المسيحية. وقال البابا فرنسيس: قوّة المسيحيّ هي قوّة الحبّ والحقيقة، وهي التي تؤدّي إلى نبذ كلّ عنف. الإيمان والعنف لا يتفقان. ونادى بإلغاء الحرب.

نقترح أن تنظر الكنيسة الكاثوليكية في هذه القضية من باب السلام العادل المؤسّس على إنجيل اللاعنف. السلام العادل الذي يقدم رؤيةً وأخلاقيّات لبناء السلام ومنع الصراع العنيف، وحلّه، ولشفاء كلّ ضرر ناجم عنه. هذه الأخلاقيّات تتضمن التزامًا بكرامة الإنسان وعلاقات ناجحة بين الشعوب مبنيةً على مقاييس خاصّة، وفضائل، وممارسات ومبادئ توجّه عملنا. وإننا نعترف أن السلام يقتضي العدل وأنّ العدل يفرض صنع السلام.

العيش بحسب إنجيل اللاعنف والسلام العادل

بهذه الروح نلزم أنفسنا بتعميق الفهم الكاثوليكيّ للاعنف الفاعل ولأعمال تتفق وهذا المفهوم، كطريق للسلام العادل. نريد أن نكون تلاميذ للمسيح. وأماننا تحديات، ولكننا رأينا أيضًا أماننا في هذه الأيام نماذج تملأنا أملًا وشجاعة. وبناء عليه ندعو الكنيسة التي نحُبّها إلى:

- أن تستمرّ في تطوير التعليم الكاثوليكيّ الاجتماعيّ عن اللاعنّف. ونوجّه نداءنا بصورة خاصّة إلى البابا فرنسيس، نسأله أن يوجّه إلى العالم رسالة عامّة عن اللاعنّف والسلام العادل.
- أن تُدخِل إنجيل اللاعنّف بصورة صريحة في الحياة، بما في ذلك حياة الأسرار، وعمل الكنيسة، عن طريق الأبرشيات، والرعايا والمؤسّسات والمدارس والجامعات والإكليزيّات والرهبنات والجمعيات التطوّعية وغيرها.
- أن تدعم الممارسات والإستراتيجيات اللاعنفيّة (المقاومة اللاعنفيّة، والعدل الذي يُعيد الأمور إلى نصابها، وشفاء آثار الرعب النفسيّة، وحماية المدنيّين العزّل، وتحويل الصراع، وإستراتيجيات لصنع السلام).
- أن تبدأ حوارًا شاملاً في اللاعنّف في داخل الكنيسة، ومع أتباع الديانات الأخرى، ومع العالم الأوسع، استجابةً للأزمات الكثيرة في زمننا، وذلك من خلال رؤية وإستراتيجيات لاعتنّفٍ وسلامٍ عادل
- أن لا تعلّم ولا تستعمل بعد الآن نظرية "الحرب العادلة"، وأن يستمرّ العمل في سبيل إلغاء الحرب والأسلحة النوويّة.
- أن ترفع الكنيسة صوتًا نبويًّا تتحدّى به سلطات العالم، وتدعم وتحمي الناشطين اللاعنفيّين الذين يعرّضون حياتهم للخطر بسبب عملهم في سبيل السلام والعدل.

في كل العصور، أنعم الروح القدس على الكنيسة بالحكمة لتواجه تحديات العصر. ومن ثم، للجواب على وباء العنف المنتشر على صعيد الكون، والذي سمّاه البابا فرنسيس "حروب على مراحل" (أو حروب "على الحساب")، نحن مدعوّون إلى الابتهاال والصلاة والتعليم واتّخاذ القرارات الحاسمة. وإنّنا نتطلّع، مع جماعاتنا ومنظّماتنا، إلى متابعة التعاون مع الكرسيّ الرسوليّ والكنيسة في العالم كلّه، لنشر إنجيل اللاعنّف.